المَساجد والمَشاعِر

في العصر الجاهلي

من آثار الاب لامنس

نشرنا في السنتين السابقتين للمشرق ، ابحاثاً من آثار الاب لامنس في « الحجارة المؤلهة وعبادتها عند العرب الجاهليين » . وها اننا ننشر الآن بسلسلة من الابحاث جليلة في مساجد الجاهليين ومشاعرهم ، استند فيها المؤلف خاصة الى القرآن وهو اثبت ما لدينا من نص عن ذاك العصر السحيق ، واوضحه دلالةً على مظاهر الشرك التي كافحها .

١

في اللغة الدينية الجديدة التي ابتكرها « النبيّ الأُميّ »[1] ، عدة مفردات اتخذها من البيئة الجاهلية ، وكانت تدلّ على آثار ومؤسسات دينية راقية الى عهد الشرك. فعمل الاسلام على تنقيتها من مدلولاتها القديمة ، كما عملت هي على اثالة الإسلام صبغةً شخصية وطنية خاصة ميّزته عن الديانتين الموحدتين الكتابيتين .

ولنرَ اولاً هل يجوز لنا ان نعدّ ، بين هذه المفردات القديمة ، كلمة « مسجد »[2] ، باحثين فيها قبل التطوّر المتتابع الذي انتهى الى انشاء المسجد الجامع في الاسلام . ويجب القول اننا ، في هذه المحاولات ، نتخذ الطريقة المباشرة ، لا الطريقة الرجعية ، التي يفضلها العلماء عادةً : اذ تنتقل بهم على

١) لا إخال احداً من العلماء يشكّ ، في عصرنا ، في معنى « الأُميّ » ودلالته على انه منسوب الى الأمّة ، وان النبي كان من « الأُمم » الاجنبية ، في نظر اليهود ، الشعب المختار : ونبي منسوباً الى الأمّية بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة . وهو معنى عصري لا مؤيّد له في النصوص القديمة .

٢) هذه المحاولة في تحقيق معنى « المسجد » الجاهلي قُدّمت الى مؤتمر المستشرقين المنعقد في أثينة سنة ١٩١٢ . اما القسم الثاني من البحث الذي يتناول اواخر العصر الجاهلي فقد أُلّف زمن الحرب الكبرى ، وأُنهي سنة ١٩٢٦ .

مهل ، من المعروف الى غير المعروف ، راجعة عصرًا فعصرًا حتى تصل بهم الى اصل الشيء الذي يدرسون. على انها كثيرًا ما تقود الى الوهم والضلال إذ تسهل عليهم الخلط بين زمن وزمن ، واذا بهم ينسبون مدلولاتهم الحاضرة الى عصر سابق. وهي ، في الموضوع الذي يهمّنا خاصّة ، كثيرًا ما عملت على نشر الاعتقاد الخاطيء بان المسجد الجامع ، كما نراه اليوم في الجماعة الاسلامية ، يرقى الى عهد النبي . بل انها لا تزال توهم عددًا من المستشرقين فيؤمنون بصحة هذا الأمر ، من اولئك الذين لم يجدّدوا مصادر ابحاثهم منذ عهد فون كريمر وسپرنجر .

ولا يخفى ان هناك مادةً لكتاب كامل في نشأة المفردات الدينية وتطوّرها في لغة القرآن[1] . وما اخذت هذه اللغة عن المفردات السابقة المعروفة في تعابير اصحاب « الكتاب » الدينية[2] . ذلك ان النبيّ ، وقد تأكّد له انه يعمل مع ارباب الكتاب على مكافحة الشرك ، لم يتراجع عن اتّخاذ بعض مفرداتهم ، مقاوماً بجهد جبّار ، وبنجاح باهر احيانًا ، تلك الصعوبات في « ايجاد مفردات خاصّة للتعبير عن افكار ومدلولات اجنبية عن لغته الوطنية ، وعن بلده. »[3] وهذا كان شأنه في ما خصّ قصص الانبياء، و« اساطير الأوّلين » . فكان فضله عظيماً في خلق انشاء ديني غير معروف قبله في بلاد العرب . ولم تكن اسجاع الكهّان — تلك التي اتهمه بتقليدها معاصروه من المشركين[4] — لتقوى على احتمال المقابلة بينها وبين هذا الانشاء العربي المبين.[5] بيد ان النبي عرف الاسجاع معرفة المطّلع الخبير فردّ التهمة بقوّة ، ونسب غيره الى تقليد الكهّان فقال عن

١) قابل في Noeldeke, *Neue Beitr. zur semit. Sprachwissensch.* 1-30 ; J. Horovitz, *Jewish Proper Names and Derivatives in the Koran* [in *Hebrew Union College Annual XXI*] 145-227 ; Rich. Bell, *The origin of Islam in its Christian Environment* Londres, 1926, p. 51...

٢) ولنذكر منها : الحنيف ، والفرقان . . . واطلب في اصل هذه اللفظة ، ملاحظات قيّمة في R. Bell, *op. cit.*, 118, 121 etc.

٣) Horovitz, *op. cit.*, 184

٤) اطلب القرآن ٥٢ [الطور] ٢٩ : ٦٩ [الحاقة] ٤٢

٥) القرآن ١٦ [النحل] ١٠٥ : ١٨ [الكهف] ١

بعض زائريه ، من الآخذين بالاسجاع المتوازنة ، والمراجعات المتقابلة: « هذا من اخوان الكهان. » قال ذلك « من اجل سجعه الذي سجع ! »[1]

واذا شئنا ان نفتش عن رأي النبي الأصيل في « المسجد » و« المساجد » وما كانت تعنيه هذه اللفظة ، وعن دور العبادة في المجتمع الاسلامي الاول ، فلا يجوز لنا ان نأخذ بما تألف حول ذلك من معلومات واشارات وآراء متأخرة عن زمن النبي . انما مصدرنا الثابت هو القرآن الذي لا يُشكّ في صحته وتاريخيته . نستند اذاً الى القرآن، صارفين النظر عن مجموعات الحديث التي قد يكون فيها الضعيف والمضطرب والموضوع .

❊

نجد في القرآن كلمات قد تأتي منعزلة مفردة من امثال « خاتم » و« ماعون »[2] . وليس منها لفظة « مسجد » التي وردت ٢٨ مرة في القرآن . على ان هذه الكثرة لا تأتي بالفائدة المطلوبة في تحديد اللفظة لما فيها من مراجعات القوالب نفسها، دون ان يأتي التعبير التالي بما يزيد عما اورده الأول. ولكنا نضحي بنصف هذه المراجعات في سبيل شيء من التحديد في وصف تلك « المساجد » المذكورة ، او في سبيل الاشارة ، وان سطحية ، الى شيء من شكلها وهيئتها ، وطرق العبادة فيها. ولكن لا سبيل الى ذلك. ولا شك ان تأثير الانشاء الشفهي عمل على ترك هذه اللفظة غامضة ، كما عمل على ذلك كونُ السامعين يعرفون ما تمثله ، ويفهمون ما كانت ترمي اليه . واذاً فهي لفظة معروفة لديهم تشير الى مدلول معهود. والّا لما أحجم القرآن عن تحديدها والاشارة الى الغاية منها. فلنحفظ هذا جيداً .

ولنتقدم الى القول ان تصف هذه الاشارات الثاني والعشرين تردد ، دون

---

١) مسلم: الصحيح ٢ : ٤٠ ؛ ابن حنبل: المسند ٤: ٩٤-٩٥ ، ٩٨ ؛ قابل بما في ابي داود: السنن ٢ : ١٦٢ .

٢) القرآن ٣٣ [الاحزاب] ٤٠ ؛ ١٠٧ [الماعون] ٧ . وليس معنى « الخاتم » آخر النبيين ، كما قد نرى في بعض الشروح ، بل « مصدّق لما قبله من الانبياء » وهو الشرح المستخرج من مضمون النص.

ايّ تنوّع في التعبير ، القالب نفسه وهو « المسجد الحرام » . اما معنى هذا التعبير في لغة القرآن ، فقد يدلّ على بناء الكعبة فقط ، كما قد يدلّ على الكعبة مع « فنائها » القريب ، اي جوارها ، وقد يدلّ على حرم مكة كلّها[1] ، بل على كل ما تقدّم معاً . واما الشروح المختلفة فيقوم بتعيينها ومناقشتها ، بعد هذا العصر ، جمهور الشرّاح والمفسّرين ، فيميّزون في مكة « مسجد الكعبة » .[2] ويكتفي اكثرهم بالقول ان « الحرم كلّه مسجد . »[3]

وكي نصل على الخروج من هذه المراجعات التي قد تحتمل الشروح المختلفة ، نبدأ بالنظر في التعابير القرآنية التي وردت فيها هذه اللفظة بصيغة الجمع ، فجاءت « مساجد » ، فنقابلها بضمن نصوصها ، وقد نخرج من الغرض الذي تولّده تعابير « مسجد الحرام » المماثلة المتعدّدة .

ولا يأسف المستشرقون على الوقت الطويل يُنفق في درس بعض التعابير القرآنية من تلك التي يتردّد في الجزم بمعناها علماء التفسير التقليدي . والواقع ان استعمال الجمع في لفظ « المساجد » لممّا يُحيّر هؤلاء العلماء ، حتى ان بعضهم لم يتردّد في وضع « مسجد » بدل « مساجد »[4] . ولجأ غيرهم الى لهجة عاميّة تعبّر ، في زعمهم ، عن « المسجد » المفرد بصيغة الجمع ، يؤيّدون ذلك بالاستناد الى بدوي مجهول تناولوه من الضاربين في تلك الصحاري الفسيحة فقالوا : « قد حُكي سماعاً عن بعض العرب مساجد في واحد المساجد . »[5] ولا يخفى التعمّل والتحكّم في مثل هذه التفاسير . بيد انهم كلهم يجمعون ، في النتيجة ، على ان المسجد المقصود في الآيات المذكورة جميعها انما هو الكعبة . فلنستفد من هذا الإجماع القريب ،

١) كما في القرآن ٢٢ [الحجّ] ٢٥، ٢٦

٢) مسلم : الكتاب المذكور ١ : ٥٢١، ٥٢٢ ؛ ابن الأثير : اسد الغابة ٣ : ٣٨٣ ، ٤ : ٥٧ ؛ النسائي : السنن (طبعة مصر) ١ : ١١٢ ، ١١٧ ، ٢ : ٣٤

٣) الازرقي (في *Chroniken der Stadt Mekka*, edi. Wustenfeld (٢٠١ ؛ الاغاني ١٤ : ١٥٥ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ٤٣ ؛ القرآن ٢ [البقرة] ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٨٧ ؛ Snouck Hurgronje, *Het mekkaansche Feest* I, 38

٤) الفخر الرازي . تفسيره ٤ : ٦٠١ ؛ وكذلك تفسير البيضاوي (Fleischer) ١ : ٣٨٠

٥) تفسير الطبري ١ : ٣٧٥

ولنتابع محاولتنا في فهم المقصود « بالمساجد » بصيغة الجمع .

٤

لم ينفرد التفسير الرسمي بالعمل على هذا الإجماع في توحيد « المسجد ». بل هناك التاريخ الرسمي الناطق بلسان « السيرة » ومجموعات « الصحيح » و« السنن » و« المسند » ، في رواياتها المتنوّعة ، وكلّها تفرض ، ضمنيًا على الاقل ، انه لم يكن في بلاد العرب جميعها ، زمن بعثة النبي ، الّا مسجد واحد .

في بطن تلك البطحاء المتكوّنة بانخفاض وادي مكة ، وسط ساحة ضيّقة ، تضغط حدودها من كل جهة البنايات المجاورة ،[1] وتزدحم فيها الحجارة المؤلّهة منصوبة او ملقاة — ولنذكر منها مقام ابراهيم — كان يرتفع بناء مكعّب الشكل هو الكعبة . وكان هذا البناء ، بما يتصل به من حائط الحِجر[2] الملتفّ على شكل نصف دائرة ، ومن بئر زمزم ، يكوّن « المسجد » على الاطلاق ، « البيت العتيق » ، « بيت الله ». فاذا كان ذلك كذلك فما القصد اذًا من لفظ « المساجد » بصيغة الجمع ؟ وكيف التوفيق بين النظرية السنّية التقليدية في المسجد الوحيد ، وتعدّد المساجد المستنتَج من الآيات القرآنية ؟

ولنتنبه خاصّة للآية ٤١ من السورة ٢٢ وهي سورة « الحج » :

« الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ الّا ان يقولوا ربُّنا اللهُ . ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لَهُدِّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكَرُ فيها اسمُ الله كثيرًا . ولينصرَنَّ اللهُ من ينصرُه ان الله لَقويٌّ عزيزٌ »

وواضحٌ ان هذا النصّ يشير الى « المساجد » المعروفة على عهد النبي ، لا الى مساجد المستقبل ، كما يرمي اليه ارباب التفسير من اولئك الذين لا يتردّدون

---

١) ابن الاثير : النهاية ٣ : ١٢ ؛ قطب الدين (في Wüstenfeld, *Chroniken*) ٣ : ٧٢ ؛ Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, 11-12 ؛ واطلب كتابنا *La Mecque à la veille de l'hégire*, 87...

٢) ويغلب ان يكون هذا « الحِجر » بقية « مسجد » مستقلّ عن الكعبة ، راجع الاصطخري : جغرافيته (de Goeje) ١٦ . ويبلغ ارتفاعه مترًا ونصف متر ؛ اطلب Léon Roches, *Dix ans à travers l'Islam*, 297-298

في شرح ولا تأويل . ولا يخفى ان وضع « المساجد » بجانب الصوامعِ والبِيَع و[بيوت] الصلوات التي يُذكر فيها اسم الله ، يُستدلّ منه تعديد المساجد اولاً، وثانياً انها من البنايات التي يُمكن ان « تُهدَم » كما ورد في الآية نفسها . فلنحفظ هذا لحينه ، ولنحذر من المبالغة في الاستنتاج . فان الآيات القرآنية لا تفيدنا شيئاً عن الفرق بين المترادفات الدالّة على المعابد[1] ، كما انها لا تفيدنا شيئاً كذلك في هندسة تلك المعابد واشكال بنائها. وقد يسأل الباحث: ولِمَ لم تذكر هذه الآيات — واكثرها ، ان لم نقل كلّها ، من العهد المدني — بين المعابد المتعدّدة « كنائسَ » اليهود ؟[2]

وفي آية اخرى يشير القرآن الى ظلم غير المؤمنين[3] « ممن منع مساجدَ الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها .»[4] وهذه هي المرة الثانية التي يرد فيها لفظ التهديم او التخريب بالنسبة الى المساجد . فهل يجوز ان نرى فيها غير التهديم المادّي بتقويض بناء مادّي ؟

ثم أليست الآية « ان المساجدَ لله »[5] تشير الاشارة الصريحة الى تعدّد المساجد ، خلافاً لما تفرضه نظرية المسجد الوحيد ؟ وسنعود الى درسها . واذا كان المقصود بالآيات المتقدمة مساجد المستقبل ، تلك التي سيقوم الاسلام ببنائها بعد عهد نبيه — كما يعمل على تأويلها اكثر الشرّاح ، حتى اوقرهم تعقلاً ونقاشاً

١) فلا يمكننا مثلاً ان نميّز ، بواسطة النص القرآني ، بين « الصوامع » و« البِيَع » ؛ قابل بما في Fraenkel, *Aramaeische Fremdw.*, 274 وقد تدلّ لفظة « بيعة » على كنيسة في الاغاني ١٩ : ٩٧ ، اما هذه الدلالة فصعبة الإقرار . ويرى Grimme, *Zeitschr. fur Assyriol.*, XXVI, 161 ان اصل اشتقاقها من لغة الحبش . اما الترادف بين « الصومعة » و« الدير » فلا مشاحة فيه ؛ راجع مسلم : الصحيح ٢ : ٢٧٧ ؛ السيوطي : الإتقان ١ : ١٤٠ وفيه ان الصلاة معناها بالعبرانية « بيت الصلاة » . اما في تفسير الطبري ١٦ : ١١٢ فتدلّ « الصوامع » على الديورة و« البيع » على الكنائس .

٢) لا نرى اللفظة « كنيسة » او « كنيس » في القرآن . اوَ تكون داخلة ضمناً في « الصلوات » ؟

٣) وقد يُقصد بهم الروم البيزنطيون (؟) كما في البيضاوي (Fleischer) ١ : ٨٠

٤) القرآن ٢ [البقرة] ١٠٨

٥) القرآن ٧٢ [الجنّ] ١٨

كالجاحظ[١] — فما القصد من تهديد مشركي قريش بأنهم ما كان لهم ان يدخلوا الّا خائفين[٢] ، معابدَ لا وجود لها اذ ذاك ؟ وما الغاية من منعهم ان يقيموا فيها الشعائر الدينية ولا سيما شعائر الحجّ ؟ وهو المعنى الصحيح للتعبير : « يَعْمُرُ مساجدَ الله » في الآية : « وما كان للمشركين ان يَعْمُروا مساجدَ الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون . انما يعمُر مساجدَ الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخشَ الّا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين . »[٣] وواضح ان المقصود العُمْرة المكيّة ، وبالتالي الحجّ ، الذي انتهى النبي بتحريمه على المشركين . وقد بيّنتُ ، في بحث سابق[٤] ، ان العُمرة الجاهلية كانت تقوم بالطواف والسعي الى المعابد القديمة المنتشرة في ارض الحرم . والواقع ان المعابد الاسلامية في هذه المنطقة متأخرة كلها عن وفاة النبي . واذًا فان « مساجد الله » الممنوع على المشركين ان « يعمروها » لا يمكن ان تكون المعابد المتأخرة ، بل انها تدلّ على معابد جاهلية كانت معروفة زمن النبي . واذًا فقد لا نخطئ اذا اطلقنا على مكة الجاهلية ذاك اللقب الذي تطلقه الذكريات الدينية القديمة على أماكن المعابد ، فسمّيناها « ذات المساجد »[٥] ، كما لُقّب وادي ثقيف « ذات الانداد »[٦] لكثرة ما كان فيه من الحجارة المعبودة . وهو لقب قد لا يبعد في المعنى عن اللقب الاول .

ثم ان الغاية من الردّ على المشركين لا نراها تتجاوز حاضر المناقشة بين النبي واعدائه من مشركي قريش . والقرآن ينهم ان « يعمروا مساجد الله » فينحّيهم

---

١) قابل بما في الطبري : التفسير ١ : ٣٧٧ . وقد تنال الاشارة النصارى الذين يضطربون خوفًا من ان يعاقبوا اذا دخلوا المسجد مسارقةً !

٢) القرآن ٢ [البقرة] ١٠٨ .

٣) القرآن ٩ [التوبة] ١٧–١٨

٤) الحجارة المؤلّهة وعبادتها عند العرب الجاهليين ، في المشرق ٣٧ [١٩٣٩] ٨٢–٨٦

٥) ورد اللقب في شعر عبيد ابن الأبرص : الديوان (Lyall) ٨٢ : ٨ ، ولكن لا يمكن تعيين موقعه .

٦) راجع كتابنا *Tāïf*, 28-32

الكفرهم ، كي يعمُر تلك المساجد النبيُّ واتباعُه ممن « آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة . » والنبيّ لا يكتفي بالكعبة وحدها ، بل انه يطالب بحقّه في سائر المساجد المنتشرة في ارض الحرم . أو ليست المساجد كلها لله ؟ واذًا فمن حقّ رسول الله ان يُشرف عليها ، ويدبّرها ، وينظّم سدانتها ، ويراقب او يصلح « عمارة المسجد الحرام »[1] ، اي القيام بالعمرة في مكة ، وفقًا للمنهاج المسنون في سورة التوبة او البراءة . هذا « أذانٌ من الله ورسوله ! »[2]

واذا احتجّ مشركو قريش بحقّهم في السقاية من بئر زمزم[3] ، وما الى ذلك من خصائص الأسر القرشية النبيلة ، اجابهم القرآن بان تلك الحقوق القديمة لا تقوم امام حقّ الله ، وحقّ المؤمنين بالله ، والمجاهدين في سبيله : « أجعلتم سقاية الحجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين . »[4] مضى عهد تلك الخصائص والشعائر . ولم يبقَ الّا نقضها بنزسات جديدة ، او ادخالها مكيَّفة في النظام التوحيدي الجديد . وهو ما يقوم به النبيّ شيئاً فشيئاً ، باسطاً حقّه ، على جميع محطّات العُمرة القديمة من مساجد العاصمة الدينية وطريق الحجّ السنوي . حتى اذا خلص له الحرم المكي بكامله ، استقلّ المسلمون بالمساجد دون المشركين من قريش وغيرها ، « اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الّا خائفين . »[5]

الى هذه المساجد القرشية الاصيلة تشير الآية ، لا الى ما سيُحدثه المسلمون

---

١) القرآن ٩ [التوبة] ١٩ – وسرعان ما نسي القوم معنى العمارة ، حتى قال بعض الشرّاح انها تقوم بتحريم كل كلمة فاحشة او بذيئة في المسجد ، اطلب اسد الغابة ٣ : ١٠٦ . وكذلك نجد ان معنى العُمرة ناله الكثير من الإبهام . راجع Snouck Hurgronje, *Mekk. Feest*, 78 وقابل بما في ابن هشام : السيرة ٧٤٠ : ٥ « العمرة مشتقة من عمارة المسجد . »

٢) القرآن ٩ [التوبة] ٣ . . .

٣) راجع في سقاية الهاشميين ابياتاً منسوبة للعباس بن مرداس في الاغاني ١٦ : ٦٥ ، وليس ما يؤيد صحتها ، قابل بما في Gaudefroy-Demombynes, *Le pèlerinage de la Mecke*, 87

٤) القرآن ٩ [التوبة] ١٩

٥) القرآن ٢ [البقرة] ١٠٨

من جوامع في المستقبل . ولا يخفى انه لم يكن من همّ مشركي قريش ان يدخلوا المساجد الاسلامية المقبلة ، انما كانوا ينازعون الجماعة الاسلامية الناشئة في ملكية المساجد الجاهلية القديمة[1] .

۞

ولنعد الى المفسرين وعلماء السنة ، فنرى ان « المساجد » ، بصيغة الجمع ، كثيرًا ما حيّرتهم ، وعاكستهم في تأييد زعمهم بوحدة المسجد اي الكعبة ؛ فدفعتهم الى استخراج الشروح والتأويل الغريبة . حتى ان الإمام احمد بن حنبل لا يحجم عن القول بكل جدّ ورزانة ان المقصود « بالمساجد » اعضاء الجسد السبعة التي تتعاون في السجود.[2] ولا يقلّ جدًّا عنه اولئك الذين يصرّحون ان الجمع يُقصد به الأرض كلّها . هذا اذا لم يعتبروا ان الجمع يقصد به الكعبة لأنها قِبلة المساجد .ويقترح غيرهم ان المقصود « شيء من المساجد » ثم يعيدنا الى مسجد مكة ، لأنّ من يزوره فكأنه زار « المساجد » جميعها.[3]

كل هذه الشروح ، بما فيها من آثار التكلّف والتداهي ، ومظاهر الرزانة الجادّة ، تثير دعابة الجاحظ[4] ، فيشترك في التفسير عابثًا ، على عادته . الّا انه يتستّر وراء ابي اسحق[5] ويقول عن لسانه : « لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين ،

---

١) وقد يكون المنع رمى الى جلاء غير القرشيين . قابل بما في القرآن ٩ [التوبة] ٢٨ . لأنّ المشركين لم يُطردوا من مكة بعد الفتح . بل ظلّ كثير من القرشيين على شركهم في مكة حتى وفاة النبي فعملوا على هياج الفتنة .

٢) ابن حنبل : المسند ١ : ٢٥٥ ؛ قابل بابن سعد : الطبقات ٦ : ٢١١ ؛ تاج العروس ٢ : ٢٧١

٣) راجع البيضاوي : الكتاب المذكور ١ : ٢٦٣

٤) كتاب الحيوان ١ : ١٦٨ ؛ راجع البلاذري : الانساب ٥٨٢ ، قفا ، وفيه عن ابن ملجم قاتل علي : « كان . . . مسجدًا يمون ان في وجهه اثر السجود . » قابل بما في اسد الغابة ٤ : ٢٨ – اما بشأن آراء الجاحظ الفلسفية فيمكن الرجوع الى Horten, *Die philos. Systeme der spekulat. Theologie in Islam*, 320 etc.

٥) راجع Schwally, Ibn Saad, *Tabaqāt*, II, introduction, p. 14 : Abou Yoûsof, , *Le livre de l'impôt foncier*, trad. d'E. Fagnan, p. 12. n. 9 الذهبي : ميزان الاعتدال (طبعة مصر) ٣ : ٢٤١

وان نصبوا انفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة . فان كثيرًا منهم يقول بغير رواية على غير اساس. وكلما كان المفسّر اغرب عندهم كان احبّ اليهم. وليكن عندكم عكرمة، والكلبي، والسدّي، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، وابو بكر الاصمّ في سبيل واحدة. فكيف اثق بتفسير واسكن الى صوابهم وقد قالوا في قوله، عزّ وجلّ: «وان المساجد لله» ان الله، عزّ وجلّ، لم يعنِ بهذا الكلام مساجدنا التي نصلّي فيها، بل انما عنى الجباه وكل ما سجد الناس عليه من يد ورجل وجبهة وانف وثفنة.»[1]

ها هو الجاحظ يوقفنا على حيرة التفسير الرسمي التقليدي امام «المساجد» بصيغة الجمع. ولكنه، على ما فيه من ظرف وفكاهة، لا يتقدّم بنا في سبيل الحلّ المعقول.

---

١) قابل بما في صحيح مسلم ١: ١٨٨–١٨٩ : «أمرت ان اسجد على سبعة أعظم» (حديث)؛ ابن الاثير: النهاية ١: ٣٤؛ النسائي: السنن ١: ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧؛ البخاري: الصحيح (طبعة استانبول) ١: ١٦٧؛ ١٩٨، ١٩٩: الدارمي: السنن ١٧٤، وفيها تعداد الاعظم السبعة التي يُسجد عليها...